مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

الإعلام البديل" نحو رؤية لتضمين سلطة الخضوع وثقافة الاغتراب"

أ.د.قجة رضا د. إسمهان بلوم جامعة مسيلة

الملخص

ضمن الحديث عن الجيل الشبكي، تم فتح عدة مدارج تفكيرية ضبطت مدخلا تحليليا متساندا وظيفيا وكفئا امبريقيا، يتأسف لحال مجتمعاتنا العربية والجزائر في سياقها الخصوصي، التي تعاني من ازمة قيمية ونكوص في بناء انساق ثقافوية معيارية كفيلة بتحديد السلوك النظامي ومعززة للفعل القيمي.

فباتت الوسائط الاجتماعية آلية فاعلة عمدت على اضعاف رصانة النسق المجتمعاتي في سياقه التفاعلي والفعلي تأسست عنها تقاليد راسخة قوامها الانعزالية والتحوصل، فتضمين الدين كدستور اخلاقي" التربية الايمانية "، استبطان الثقافة ضمن الشخصية " اعداد مناهج دراسية تربوية جديدة تجمع بين الاصالة والمعاصرة "، نشر الوعي الصحي بخطورة الاباحية " تنمية الرقابة الذاتية " تعد خطوط دفاعية اولية للحد من مظاهر التكيف الاغترابي

الكلمات المفتاحية: الاعلام البديل، سلطة الخضوع، ثقافة التحوصل والاغتراب

اولا : إشكالية الدراسة البحثية :

الفورية ، التفاعلية والتحديث هي إرهاصات مبدئية لنقل الإعلام إلى أفاق غير مسبوقة وكعالم إفتراضي تتفاعل فيه التقنية والتواصل كعملية سيكوثقافوية .بل كبنية تفاعلية افتراضية احتلت مساحة واضحة من وقت ، فكر ، اهتمام ووجدان الشباب " الجيل الشبكي " والحاملة في منظوماتها الدلالية امتزاجية الاتصال الذاتي والشخصي والجمعي في بيئة واحدة اعادت تشكيل الحياة المجتمعية والاتصالية في ضوء تأكيد الجانب العلائقي بينها كبنية تقنية والفئات الفاعلة كبنية إجتماعية ،كآلية وكميكانيزم ناجع يعمل على إرساء القواعد وترسيم الحدود التي تقنن احد الأعمدة الأساسية لبنيتها السلطوية **"سلطة الخضوع"** التي تحمل في طياتها منظومة ثقافوية لها محكاتها الفاتحة لعدة مدارج تفكيرية ،لكل منها معاييرها في الفهم والتقدير كثقافة قطيعة فإغتراب، فهي لاتساهم في إعلاء قيم المعرفة ,النقد وحوار الذات فقط بل تعمد أيضا على تدمير ثقافة الأخر وقيمه البناءة لتجعل منه يعيش داخل بوتقة قوامها" **التحوصل ، فقدان مهارة الكتابة ، العنف وتبني معتقدات الشيطانية والفشل الدراسي "**

ثانيا : اهمية الدراسة البحثية :

هيكل ظهور الإعلام البديل فتح عدة مدارج تفكيرية ،لكل منها معاييرها في الفهم والتقدير كثقافة قطيعة فإغتراب، ام ثقافة تواصل، تضمن إرهاصات مبدئية لنقل الإعلام إلى أفاق غير مسبوقة وكعالم إفتراضي تتفاعل فيه التقنية والتواصل كعملية سيكوثقافوية

.

بعيدا عن هذه المحكات والرؤى التى تقننها كوسيلة مهمة للتنامى والالتحام تنحو الدراسة البحثية نحوا سلبيا يكرس شبكات التواصل الإجتماعى كبنية تحتية لصياغة ونشر ثقافة الخضوع والقطيعة داخل البنية المجتمعية الجزائرية، في سياق ماتمليه بناها السلطوية بأسسها ومصادرها كمنوال وإرهاص مبدئى لكشف الستار عن منظومتها المعرفية القيمية والفكرية المستترة:.

ان موضوع الورقة البحثية الموسوم بـ : " الإعلام البديل" نحو رؤية لتضمين سلطة الخضوع وثقافة الاغتراب"" يعد محاولة رائجة في الفكر السوسيولوجي الرامي في سياقاته التنظيرية فالعينية لتعزيز الامن الفكري وكبح ثقافة التحوصل والاغتراب لنجعل من الفئة الفاعلة " الشباب " اكثر تماثلا مع منظوماتنا المعيارية والقيمية الجزائرية

ثالثا :الاعلام البديل : ثقافة تواصل ام قطيعة.

هيكلت الدوافع الخفية للإعلام البديل او شبكات التواصل الاجتماعي نقطة إنطلاق تصورية

لتضمين الفهم والرؤية الهيكلية الشاملة للخاصية البنائية والوضائفية الكامنة التي ترسخها على مختلف التركيبات الإجتماعية الداخلة في عالم علائقي إفتراضي، فهي"**مواقع ذات طابع إجتماعي تحاوت ان تقدم واقعا إفتراضيا للإلتقاء بالأصدقاء والمعارف والأهل يحاكي الواقع الطبيعي على الارض بعد ان اصبح هذا الواقع صعب المنال من خلال تكوين شبكة من الأصدقاء من مختلف الأعمار والاجناس" (1)**

تجمعهم إهتمامات ونشاطات مشتركة، بالرغم من إختلاف وعيهم، تفكيرهم ومنظومتهم الثقافوية والقيمية ، فرغم هذا التباين في المحكات المعززة والمحركة للاندماج داخل هذا العالم الإفتراضي إلا أن الحوافز الاساسية التي تقف وراء هذا الإقبال الواسع على شبكات التواصل الإجتماعي هو الاحساس الغريزي غير العقلاني لعقد روابط إجتماعية تقوم على القيم المعتقدات والآحاسيس المشتركة ،طالما أن هذا العالم " **هو منافذ صغيرة للتعبير عما تعتمر به النفوس من أفراح وأحزان"(2)**

تماشيا مع هذه المعالم التحليلية : **هل الوسائط الاجتماعية مدعاة للتواصل ام القطيعة؟** رسخت بعض المنطلقات الدلالة المفاهيمية للإعلام البديل في خضم كبح معالمه الوضائفية والولوج على اثاره السلبية على مختلف الفئات الاجتماعية في سياقاتها الفكرية الإجتماعية والأخلاقية لتعلن انها " **مضيعة للوقت ونافذة للفساد وطريق وعرة تحفها المخاطر وتكثر فيها المشاكل الاجتماعية والأخلاقية، يرتادها بعض ضعاف النفوس لاصطياد ضحاياهم من الشباب والشابات لجرهم عن جادة الصواب(3)**

فهي بذاك تضمن فساد فكريا، اجتماعيا ،وحتي أخلاقيا.

لهذا فهي لاتساهم في إعلاء قيم المعرفة ,النقد وحوار الذات فقط بل تعمد أيضا على تدمير ثقافة الأخر وقيمه البناءة لتجعل منه يعيش داخل بوتقة قوامها" **العزلة،التهميش،الإغتراب والاستعباد"**

فكيف تنمط هذه الشبكات الإجتماعية معالم سلطوية تكبح الآخروتدعم في سياق محكاتها ثقافة الخضوع والاستبعاد فالاستبعاد؟

رابعا : محكات سلطة الخضوع

أن النظر لشبكة التواصل الإجتماعي في ضوء تأكيد الجانب العلائقي بينها كبنية تقنية والفئات الفاعلة كبنية إجتماعية ،كآلية وكميكانيزم ناجع يعمل على إرساء القواعد وترسيم الحدود التي تقنن احد الأعمدة الأساسية لبنيتها السلطوية **"سلطة الخضوع"** التي تحمل في طياتها منظومة ثقافوية لها محكاتها التي تتمكن من خلالها شبكة التواصل الإجتماعي من فرض إردتها وتضمين الخضوع السلبي لمصادرها وأسسها ،وفيما يلي توضيح لأهم هذه المحكات المعززة في سياقاتها الخفية او الكامنة لكل معالم التهميش وثقافة الإغتراب.

1) ثقافة التواصل الوهمي فثقافة القطيعة :

ترسيخا للمعالم التصورية المعيارية يعد الإعلام البديل بمثابة مجالا لإعادة إدماج الفئات المعزولة ، فكريا ،إجتماعيا ،سياسيا ،وعاطفيا والتي تعاني في خضم هذه المنطلقات كل معاني الاغتراب والتهميش عن واقعها الأسري خاصا والمجتمعاتي عامة، فغدى هذا الواقع الافتراضي الملاذ الأمن لهم.

يوضح الشكل (1):العلاقة: إعلام بديل ،الفرد النغمس

2) الحتمية او القوة التكنولوجية:

تنطلق من قناعة بان قوة التكنولوجيا هي وحدها المالكة لقوة التغيير في الواقع الاجتماعي وتراها رمزا ووسيلة للهيمنة على الشعوب المستضعفة والسيطرة على الفرد، فتقتحم حياته الخاصة وتفكك انساقه التفاعلية

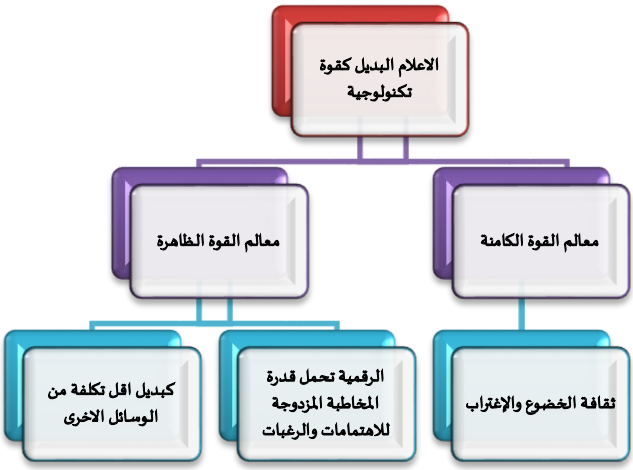

يوضح الشكل رقم (2):معالم القوة التكنولوجية للإعلام البديل.

3) الحتمية الإجتماعية :

"بات الحفاظ على الهوية الثقافية والحضارية من اقوي التحديات المطروحة علينا بشدة في عصر السموات المفتوحة التي تكتض بلاقمار الصناعية بما تحمله من تأثيرات مختلفة، تشكل الفكر والوجدان على حد السواء(4)

نضمن في هذا المحك الأسس والمصادر السلطوية غير الأخلاقية، التي تحتكم إليها البنى الإجتماعية التي تتحكم في محتويات التكنولوجيا وأشكالها، فالقوى الاجتماعية المالكة لوسائل الإعلام قد تستخدمها كمنوال كافي لتأصيل قيم سلبية كموجهات سلوكية وعلائقية تجعل الكثير من مجتمعاتنا تدور في فلك اللامعيارية كقوالب كامنة للتفكك ، الانحراف والسلوكيات غير السوية .

يوضح الشكل رقم (3): هرم أهداف الإعلام البديل.

4) تضمين ثقافة الخضوع والإستبعاد:

إن ماتمليه المتطلبات او المحكات السابقة ،هي كبح مقاومة آليات التواصل الإجتماعي "إدمان الأنترنت" وهذا ما قننه السواد الأعظم لرواد الدراسات السيكولوجية ، على إعتبار **" أن جل الأفراد تعرضا لخطر الإصابة بمرض إدمان الانترنت هم الذين يعانون من العزلة الاجتماعية والفشل في إقامة علاقات إنسانية طبيعية والذين يعانون من مخاوف غامضة او قلة احترام الذات"** (5)

فهذا الفضاء التخيلي، بشقه المادي والمتمثل في إبداع سبل جديدة في هندسة تكنولوجيات الافتراضي وبشقه الاعتباري، يضم أنشطة عالمنا الواقعي المعتاد، أو في إمكانه أن يضمها جميعها ويضم أشياء جديدة ليقدم لهم مجالا واسعا لتفريغ مخاوفهم وقلقهم

.

يوضح الشكل رقم (4): العلاقة بين الثلوث العالم الإفتراضي، إدمان، ثقافة الخضوع

خامسا : شبكات التواصل الإجتماعي و ثقافة الإغتراب

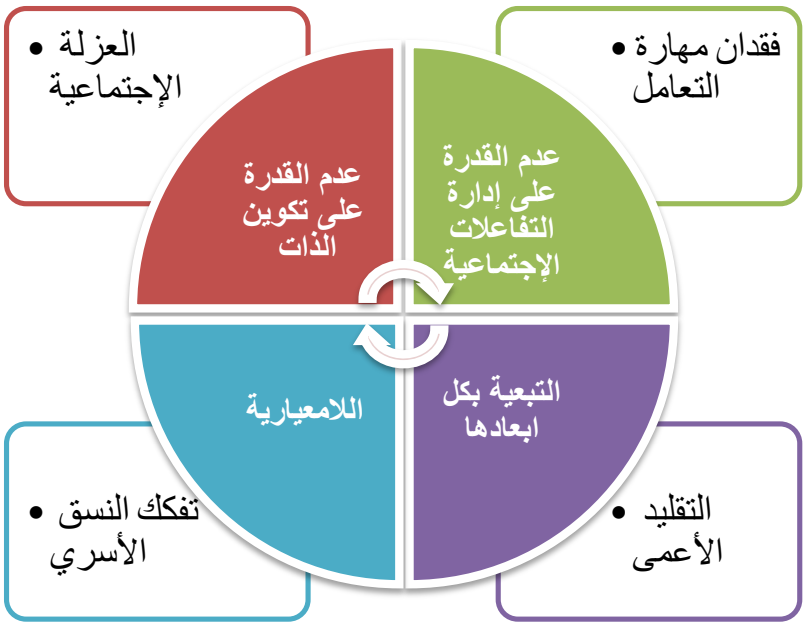

يوضح الشكل رقم(5) : محكات ثقافة الإغتراب

إن الحديث عن الإعلام البديل كبنية سلطوية تضمن في طياتها، اسسها ومصادرها ،منظومة قيمية ترسخ ثقافة لها سماتها وخصائصها التي تنتقل مكوناتها السلبية بين مختلف الفئات المهمشة والمعزولة عن قيمها ،عاداتها، ، منظومتها القيمية وحتى الأخلاقية وواقعها الإجتماعي ككل ، طالما أن مواقع التواصل الإجتماعي أداة ضبط و تنشئة (إيجابية وسلبية) وبالتالي أداة مهمة من أدوات التأثير والتغيير(خاصة السلبي) .

وفيما يلي توضيح لأهم ملامح هذه الثقافة داخل مجتمعاتنا العربية :

1) العزلة الإجتماعية:

هيكلت المنطلقات التحليلية نقطة إنطلاق تصورية ،منها نبني الآليات ومنها نقيم المرتكزات كإرهاصات تنبئ بإحلال الإعلام البديل محل التفاعل الاجتماعي الصحي، فأصبحت مدعاة

للهروب من التعامل المباشر وكمنوال يكشف عن تغيير في منظومة القيم الإجتماعية ، تعزز الاستخدام المفرط للقيم الفردية بدلا من القيم الجماعية وهذا ما ثمنته الباحثة الأمريكية "**شيري تركل**":" **إننا إبتكرنا تقنيات ملهمة ومعززة ، مع ذلك فقد سمحنا لها بأن تحط من قيمتنا**"(6)

فهذه الآليات الاتصالية البديلة ، عززت جيلا يعاني الوحدة وعدم القدرة على تكوين الذات ، فالناس ينعزلون عن الواقع المعاش ويتيهون في واقع افتراضي ليس له صلة بحياتهم الحقيقية مما يقلل من آدميتهم.

2) **فقدان المهارات الأساسية في التعامل:**

اكد "جراى سمول"من جامعة كاليفورنيا،أن وسائل التواصل تفقد تدريجيا مهارات التعامل والتفاعل مع الأخر، كما تفقده القدرة على قراءة وفهم التعبيرات على وجوههم والتي تظهر أثناء المحادثة "**فالوصلات العصبية في المخ المسؤولة عن التعامل مع العلاقات التي تتم وجها لوجه تصبح أضعف** " (7)

ويؤدى هذا إلى أن يصبح الشخص اقل لباقة وقدرة على إدارة التفاعلات الاجتماعية.

3) **التقليد الأعمى :**

. ثقافة"الأنوش":

ضمنت شبكات الإعلام البديل كل معاني التبعية ،خاصة ما تعلق منها بتشكل أنساق السلوك وتحدد أنماطه، ولعل خطورة هذه الظاهرة تنبع من التأثيرات التي تنجم عنها ، فهي ليست تبعية مادية فقط وإنما هي تبعية للبشر(الباس،الكلام، تسريحات الشعر...) بحيث يشعر الفرد نفسه دون أن يعي وكأنه غير منتمي إلى مجتمعه وإنما هو تابع إلى مجتمع آخر ويدور في فلكه بإستمرار.

. استساغة الشيطانية "ثقافة عبدة الشيطان ":

هيكلت العولمة التكنولوجية ، فتح عدة مدارج تفكيرية تنبئ عن تفشـي أنماط الغنوص ،كنحلة شاذة بأصولها تمجد الذات ، تعظم اللذة وترفض المعايير الاجتماعية ،كنوع من التمرد والرغبة في إظهار الجديد الذي يأخذ بعقول المراهقين ، خاصـة في ظل سـوء

استغلال شبكات الاتصال الحديثة وما تحويه من برامج تروج لفكر منحرف " عبدة الشيطان " وجعله مستساغا داخل ابنيتنا المجتمعية العربية ، في سياق الخواء الفكري والضحالة الدينية ،فباتت هذه الظاهرة كباثولوجيا إجتماعية ، وكإحدى صور الانحراف داخل سياقاتنا المجتمعية وكإفراز لموضة الثقافة الاستهلاكية ـــ التي تقنن في معالمها وترسخ في أليااتها عن غزو ثقافي ، مادي وأخلاقي ، ثمنته وسائل الإعلام المرئية والمسموعة .

إعتبر وودس أن الحداثة اسهمت في سيطرة وسائل الضبط على الفعل الاجتماعي سواء كانت تلك الوسائل عقلانية ام غير عقلانية وهى تظهر في السياق الاجتماعي بشكل متأجح بين الامتثال بدرجة عالية او منخفظة ففي ظل العالم العولمي المعاصر تتعرض المجتمعات الى تحولات تؤثر على استقرارها وينعكس ذلك على المعايير فهي تواجه ايضا تهديدات ناجمة عن التتباين الثقافات والقيم وما يحدث في الواقع " وهنا قد تفقد بعض معانيها او يطغى معيار على أخر قوة او ضعفا ويضعف الاحساس بالمعايير حينما ينفصل الموقف عن المعيار ويفقد المعيار تأكيد إستمراره في المستقبل فيضعف حينئذ الموقف الفعلي والتحديد المعياري لما هو صواب او خطأ (8)

تؤثر وسائل الاعلام في التكوين المعرفي للافراد من خلال عملية التعرض الطويلة المدى لوسائل الاعلام ، فتقوم بإجتثاث الاصول المعرفية القائمة للقضايا والمعايير التي يحكم بها الفرد على السلوك الاجتماعي "ومن ثم فإن وسائل الاعلام ذات الدور السلبي قد تساعد على ظهور انومي اللامعيارية من خلال تعديل نظرة الافراد وقناعاتهم في معتقداتهم وفي المعايير الاجتماعية القائمة لمجتمعاتهم (9)

وفي نفس السياق اشادت نظرية التطعيم والتلقيح ان الاستمرار لمشاهدة العنف والجريمة والبرامج الهابطة التى تحارب الفضيلة يخلق لدينا حالة من اللامبالات تجاهها وعدم النفور منها فالتطعيم الاعلامي يضع في النفوس اللامبالات وبلادة الحس حتى ينطبق قول الرسول ص "**يصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا** " لهذا يمكن القول بان عبدة

الشيطان" وقعوا صيدا سهلا لافكار منحرفة تغرسها الاقنية الفضائية التى تركز بعضها على محاربة الفضائل وخدمة الرذائل عبر خطط مدروسة ومستهدفة "

. ثقافة اختطاف الاطفال:

تشير نظرية التعلم الاجتماعي إلى الدور المتنامي للقدوة و التعلم في اكتساب سلوك الانحراف فالاختطاف وهذا ما تبلوره و تمليه وسائل الإعلام خاصة الإعلام البديل الذي يقنن في معالمه السلبية أعمق مشاعر وعناصر التناقض في شخصية الفاعل العربي و الجزائري خصوصا " فدينه وعقيدته و تقاليده تدعوه للتسامي و التعالي عن هذه السلوكيات المشبعة جنسيا، بينما ما يشاهده و يراه يدعوه للتنازل عن هذا التسامي و الانغماس في ثقافة الجنس و إشباع غرائزه الحسية و الجنسية، بل يقدم له تعليل و التبرير لهذا السلوك الجنسي باسم الحضارة و الحداثة " (10)

إن تنامي سلوك الاختطاف يكشف عن ازدواج الشخصية بكل قوة وعمق، هذا الازدواج لا يدفعه إلى الجرائم الجنسية فقط بل إلى جرائم و انحرافات أخرى مثل الاستهزاء بقيمته التقليدية.

4) التفكك الأسري:

رسخ العالم الإلكتروني افق جديدة أمام مختلف الجماعات القرابية والأسرية على غرار التغيرات البنائية والوظائفية التي أحدثها الواقع المجتمعاتي الحضري داخل هذه الجماعات والتي يمكن بلورتها على مستويين :العلاقات الزوجية والعلاقات الأسرية

يتسسبب إنغماس المدمن في إستخدام الإنترنت وقضائه أوقات أطول في إضطراب حياته الأسرية حيث يقضي المدمن اوقاتا أقل مع اسرته كما يهمل واجباته الأسرية والمنزلية مما يؤدي إلى إثارة افراد الأسرة عليه ،وبسبب إقامة البعض علاقات غرامية غير شرعية من خلال الإنترنت تتأثر العلاقات الزوجية حيث يحس الطرف الأخر بالخيانة وقد أطلق على الزوجات اللاتي يعانين من مثل هؤلاء الأزواج بأنهن أرامل الآنترنت ويعترف 53 % من مدمنى الأنترنت أن لديهم مثل تلك المشاكل وذلك طبقا للدراسة التي نشرتها "**كمبرلي يونج" في مؤتمر مؤسسات علماء النفس الآمركيين المنعقد عام 1997** "إن مدمن الأنترنت يسعى

لتأسيس حياة منفصلة له في هذا العالم الإفتراضي ، يهرب فيها من واقعه ، وأخطر ما في الآمر هو أن وجود هذا العالم يفقده الرغبة في إحداث تغيير أو تحسين حياتة الآسرية الأمر الذي يزيء في تفاقم المشكلات داخل النسق الأسري"(11)

خاتمة :

مانكاشف عنه في سياق المنطلقات التنظيرية السابقة والعينية للواقع المجتماتي الجزائري الذي لعب فيه الاعلام البديل مرتعا خصبا لقلب موازينه وانهيار منظومته القيمية والاخلاقية ، هو دعوة للتوسط بين التقوقع والانفتاح وهذا ما ضمنته منطلقات الفيلسوف والسياسي الهندي **"غاندي": " يجب ان افتح بيتي لكي تهب علها كل الثقافات ، بشرط الا تقتلعني من جذوري "**

تهيكل هذه الارهاصات الكيفية في مضامينها انساق علاجية تتخذ من الثلوث "الجانب العقائدي، المحك الثقافوي ، البعد النفسي الصحي " كمدارج توضيحية وتوعوية ، تدعوا الى ممارسة الاستخدام المعتدل والامثل للوسائط الالكترونية .

فتضمين الدين كدستور اخلاقي" التربية الايمانية " ، استبطان الثقافة ضمن الشخصية " اعداد مناهج دراسية تربوية جديدة تجمع بين الاصالة والمعاصرة " ، نشر الوعي الصحي بخطورة الاباحية " تنمية الرقابة الذاتية " تعد خطوط دفاعية اولية للحد من مظاهر التكيف الاغترابي بإعتبارة وليد اللاتناسق الذي تشهده التراكيب القيمية والذهنية لشخصية الفرد والعناصر المعيارية وهذا ما بلورته المنطلقات البحثية **"لوودس"** الذي اشاد بتحليل قوامه : يجب الاخذ في الاعتبار أن القيم والمعايير هي موضة فهي ليست ثابتة بل متغيرة وتلعب الاجهزة المتباينة دورا مهما في الالتزام بها ومع هذا فإن الفعل الاخلاقي مستمر طالما هناك ضغوط من جانب الافراد لتدعيمه فالاستجابة المباشرة للقيم والمعايير مطلب اخلاقي مهم لتدعيم الفعل وتوفير سبل تدفعه الى استمراره تجاه ما تحثه عليه القيم والمعايير"".

الهوامش:

1. محمد منصور:"تاثير شبكات التواصل الإجتماعي على جمهور المتلقين"،رسالة ماجستير في الإعلام والإتصال ،تحت إشراف :حسن السوداني ، 2012 ص 30

2 . موقع أربيان بزنس: شبكات التواصل الإجتماعي ،تغيير الأفكار والسلوكيات،21 يناير 2011.

3. عباس مصطفى صادق:الإعلام الجديد: دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العامة ،البوابة العربية لعلوم الإعلام والإتصال 2011 ص 9

4 . فاطمة يوسف القليني :القيم كما تعكسها الصحافة المحلية ،في قيم العمل الجديدة في المجتمع المصري ،تحت إشراف : إعتماد علام ،مكتبة الانجلو مصرية ، القاهرة ، ط 1 ،2007

5 . محمد منصور : مرجع سابق، ص 40

6 . نهوند القادري :قراءة في ثقافة الفضائيات العربية ،مركز الدراسات العربية ، بيروت ،2008 ، ص 231

7 . محمود الكردي : التحضر دراسة إجتماعية ، الكتاب الثاني : الأنماط والمشكلات ، دار المعارف ، القاهرة ، 1986 ، ص 146 .

8 . إعتماد محمد علام واخرون : قيم العمل الجديدة في المجتمع المصري ، ط1 ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، 2007

9 . حسن بن على بن عبد الله الشيخي : اللامعيارية ومفهوم الذات والسلوك الانحرافي لدى المنحرفين في مدينة الرياض ، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير ، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية ، 2003 ، ص 58

10 – علي الحوات:الجرائم الجنسية، ط1، مركز الدراسات و البحوث،أكادمية نايف العربية للعلوم الأمنية،الرياض،1997، ص 59

11 . بلال خلف السكارنة : أخلاقيات العمل ،دار المسيرة ،ط1 ، عمان ، 2009 ، ص 398